

# الزعيم

## قصة بقلم هير أحمد السائب

عوده فيضعه في مواقف اختبار ، حتى مات فجأة وافلت كل شيء ؟ كل شيء جائز ، فلا احد يدري بما يدور في فلوب الزعماء . كل شيء جائز الا انسه غير مخلص لوطنه . هذا امر لا يختلف فيه اثنان . وهي زوجته ، لفت نظرها اليه في البداية حماسته وآراؤه . كان حبه لوطنه مفتاح حبه له . عبرت له مرات - وهي دهشة - عن حيرتها :

- تنظيمات ادارية . ماذا افول للزعيم ؟  
وهو ايضا كان يدهش . ولا ينكر ان خيبة الامل كانت نهدق به .  
لكن ابتسامته الزعيم كانت تمحو كل شيء .  
- الوطن يدخرك للملمات يا فهمي .  
والزعامة - كما قال لها مرات - ليست سلما وظيفيا يناله المرء بالترفية . لكن ، ماذا تقول ؟ ها هو ذا الان مدير لارشيف الاشغال بعد طول كفاح ، بينما قيادة الوطن قد آلت لايدي حفنة نالت من لسانه كل هجوم . ترى اكان يستبعد عن عمد ؟ فلها حدثها بذلك مرات لكن الشك لا يهدل لمرتبة اليقين ، وامور كثيرة في الحياة لا تفسر لها . لكنه .. هو ، متأكد الان من كل شيء . عرف ما كان يستغلق على فهمه .  
- اهلا استاذ فهمي .

رحب به الكثيرون ممن آل اليهم الامر .  
- هون عليك . ما لك ترتجف ؟  
- قلنا نسي الخليل خليله .  
- مكانك محجوز .

وفي الصفوف الاولى كان ورثة الزعيم . الحزن والكتابة . الصمت العميق يقيم لكل واحد عاله . دوي الهنات كالرعد لا ينقطع .  
- تحيا ذكرى الزعيم .  
( اخواني . اسمحو لي ان افول .. )  
- عاش الزعيم . الزعيم خالد لا يموت .  
( كان فضله اكثر من ان يحصى . كان مجرد اسمه يدخل الرعب في قلوب المستعمرين .. )

- الموت للاعداء .  
- نبي الوطنية لا يموت .  
انصت فهمي الى الهنات تقطع على المتحدثين فرصة الكلام .  
التقطت اذنه بضع كلمات لم يستوعبها على الاطلاق . هذا كله زيف .  
والقبلة ستدمر كل شيء . وسيطفي صوتها على هذا الضجيج .  
سيصدم كل هؤلاء ، وتزلزل الارض من تحت اقدام من حوله . الصدمة ستقلب البلد رأسا على عقب . ستقلقل كل شيء حتى رفات الزعيم .  
اهدموا قبره المنيف فكثير عليه حفرة في تراب . كفى ما تركه من عزب وقصور . الان فقط يا سيادة الزعيم ، عرفت كيف يصبح الفقير شديدا الغنى .

- تجرؤ علي بعد موتي ؟  
- ليتني عرفت حقيقتك في حياتك .  
- انت حاقد .  
- وانت ، عرفت عنك كل شيء .  
- انت موتور . احثك ان تضيع الزعامة منك .  
- انا ؟ ها !  
- تقسم ان العوامل الشخصية لا تحركك ؟

النصفيق الحاد لا يكف عن الدوي ، والهنات القوية تحكي صوت الرعد ، وبمجزأة وجد المذبح فرصة ليصف شيئا من فخامة الحفل .  
بدأ يذكر اسماء بعض الشخصيات اللامعة التي توافدت - وتتوافد - على مقر الاحتفال ، لكن صوته ضاع ثانية وسط الضجيج .  
- تحيا ذكرى الزعيم .

والهنات تتردد اصداؤها في جنبات حجرته فتزلزل كل شيء .  
المنصدة الصغيرة تهتز - الاقلام التي عليها تثر . حتى المذيع يبدو انه سينفجر . وهو وحده بادي الهدوء . الاصوات التي اهتزت لها الاشياء فسلت في ان تهز طيلة اذنه . لكن اعماقه كلها ترتجف ، وقلبه يدق بعنف ، ومن الصعب ان يقال - رغم كل شيء - انه لم يكن يعي ما حوله .  
ثم حالة يختلط فيها الوعي باللاوعي ، يكشف المرء فيها ان انسانا آليا يكمن في اعماقه ، يبادر بالاستجابة المناسبة في الوقت المناسب ،  
فها هو بالفعل قد ارتدى ملابس . انفاسه لاهثة . العرق يتصبب من جبينه . . القى بنفسه فوق اقرب مقعد . اسند رأسه بكفه . الدوي المتبعث من المذيع لا صوت له .

- الله ! فهمي . ماذا بك ؟  
نظر الى زوجته في بلادة . فال كأنها يعادث نفسه :  
- افكر في عدم الذهاب .  
اقتربت منه ، وانساب صوتها رقيقا حنونا . وقالت كلاما كثيرا .  
حذرته على وجه الخصوص من الاستسلام لمواطنه واحزانه . الناس جميعا يعرفون منزلة الزعيم في قلبه . . لكن حاسديه لن يرحموه . سيفسرون غيابه على مقاصد اخرى . سيلعبون بالورقة بحذق . . واختلط صوتها في اذنه بصوت آيات القرآن التي افتتح بها الحفل .  
ضاق بكل شيء ، وهم بان يطلب اليها ان تكف عن الثرثرة .  
- مات الزعيم منذ عام . الموت قدر على الجميع . . سنقتل نفسك حزنا ..

لو تعلمين ؟ تحسس جيب سترته الداخلي فجأة .  
- تحيا ذكرى الزعيم .  
صاح في اعماقه صوت زاعق ( معي فتبلة ستسفس كل شيء ) .  
نظر اليها بفتة ، بعينين واسعتين : ترى هل سمعته ؟  
- لن يفسر احد غيابك بحسن نية .  
حمد الله واستراح . وعادت الهنات تدوي . وفجأة هب واقفا ، ووجد في نفسه تصميمًا عارما على الذهاب . لا بد ان ينتهي الخريف .  
ها هي ذي الساعة التي يعد لها منذ شهر ، فلم التردد ؟  
- العربية جاهزة .

خرج دون ان يرد . كانت شفثاه تتمتمان : ( لا بد . لا بد . )  
قلبت يديها في حيرة . ترى ماذا به ؟ منذ ما لا يقل عن شهر وهي تلحظ شروده . تنهداته تفلق الصخر . سمعته كثيرا يعادث نفسه .  
الضوء في مكتبه يظل مشتتلا حتى الفجر . اهي المناسبة الحزينة اعادت اليه ذكريات مجد غابر ؟ كان اصديق اصدقاء الزعيم . اقرب انصاره الى قلبه .  
الاصواء سلطت عليه وهو يرقى بسرعة درجات المجد . شباب الحزب كله يعرفه . وعند كل تعديل يتناول الحزب ، كان الجميع يتوقعون ان يكون فهمي شاكر في مكان الصدارة بعد الزعيم . ترى ، لماذا لم يحدث هذا ابدا ؟ اهي حدائة سنه ؟ ام ان الزعيم كان يعجم

سيتفرق الجمع وتعود الى ما كنت فيه من عذاب . ظنت بك الزوجة  
الظنون . ألم يكن من الرحمة أن نصارحها ؟ ستعلم إلا نكل شيء .  
هذه هي بجوار المذباغ ينتظر كلمتك . ستسمع دوي القنبلة وتعلم سر  
انشغالك عنها شهرا كاملا . هي في الحقيقة فلقة ، لم يخفف من قلقها  
الا حزنها على وفاة الزعيم ، الذي تجدد في ذكراه .

– الزعيم خالد لا يموت .

– يحيا موحد الامة .

صخب الهتافات اعنى من غضب الموج ، والميدان كله يردد الهتاف .  
وفي القرى وفي المدن ، في الكفور وفي النجوع ، في الشوارع وفي  
الحارات ، في المنازل وفي الاكواخ .. تقول الامة كلمة واحدة ، وتردد  
هناذا واحدا :

– يسقط المستعمرون الطفافة .

« وكانت كلمة منه تقيم جيوش الامبراطورية وتقعدنا .. »

هز فهمي رأسه وكلمات الخطيب تدوي في اذنه بلا معنى . وفي  
الطريق الى الميدان كادت عربات جيش الاحتلال تسحق عربته . عشرون  
عاما قضاها الزعيم مصدر القول وصاحب التفويض والتحديث باسم  
الامة .. حميت الهتافات وارتفعت حرارتها الى السماء تكاد تذيب  
قرص الشمس .. وزاد عدد جنود جيش الاحتلال ، لكن المستعمرين  
ماتوا وسحقوا على كل لسان .

– الموت للقاصيين .

الهتافات تزداد علواً ، والصياح يزداد ضجيجا ، وسحابة غبار تملأ  
الجو . اغمض عينيه فهاجمته الاصوات من كل مكان :

– امي . ماذا حدث ؟

– مات عمك .

الصياح يزداد . زوجة عمه وبناها ينتحبن . لكن ، ايعيد التحيب  
الى موتانا للحياة ؟

– الجلاء بالدماء .

اين انا ؟ هنا في الميدان ؟ صورة الزعيم ترمقه بقسوة . وضع  
يده على يافوخه وعاد يحفف عرقه .

– الجلاء بالفداء .

كان هذا هو الحل الوحيد . خطف جنود الاحتلال ومثل بجشهم .  
الصحف تنشر الاخبار بالعناوين المثيرة . نار المبركة ضمد الاحتلال  
تستعر . الزعيم صامت لا يريد ان يتحدث . خطة سياسية ولا شك .  
الهمتنا يا زعيمنا ، وباسمك يموت الناس . انت الوطن مجسما في  
شخص يعبدته الناس من غير صلاة . مستضرب المستعمرين ضربتك  
القاصمة وبوركت يداك . الزعيم جالس على مقعده : صامت يفكر .  
فهومي يتجرأ ويقطع عليه خلوته ، يلوح بالصحيفة في فرح طفولي :

– بدأ الكفاح الحقيقي يا سيادة الزعيم .

نظر الزعيم الى فهمي نظرة طويلة غاضبة .

– ليس هكذا يكون الكفاح .

لماذا تنجهم ؟ ماذا هناك بالله ؟

– هذا خير من لا شيء يا باشا .

تدقق صوت الزعيم كسميل جارف :

– اسمع يا فهمي . هؤلاء الاولاد لا يمثلوننا . انشر بهذا تصريحا  
في الصحف . هؤلاء فوضيون .

اتسمعت حدقتا فهمي ، وامتلأت جبهته باكثر من علامة دهشة  
واستفهام . اخذ الزعيم يذرع غرقته بخطوات عصبية . جلس على  
مكتبه وعاد يقول بصوته الغاضب :

– هؤلاء خونة .

– خونة ؟!

انتفض الزعيم واقفا . ضرب المكتب بقبضة يده :

– اين حنكتك السياسية يا فهمي ؟ نعم خونة ، وماجورون .

شل لسان فهمي وظن فاعرا فاه . ترنحت سافاه ، ونظر الى  
زعيمه يستلهمه التفسير والايضاح . ومحال ان يفشل منطق الزعيم :

تأمل فهمي في دهشة . صورة الزعيم بالحجم الطبيعي ترمقه .  
هز رأسه في ذهول . يا للمنطق وذلافة اللسان . انت كما كنت . منطقتك  
لا يقاوم . لن اقول لا . كنت من قبل زعيم كتلة من الشباب . كنا في  
رأبك متهورين . وتطلعت الى نفسي كثيرا كمنفذ للوطن من كابوس  
الاحتلال . رفضت ومن معي ان ننضم لحزبك . اكان غرورا؟ اكان طموحا؟  
لكني كنت مخلصا في ما اقول .. وفجأة وجدك ببابي . لم اصدق .  
الزعيم الكبير بنفسه ، بلا ضجة ولا هيلمان !

– رشيد باشا ؟! يا خبر ! تفضل .

الابتسامة الجميلة الأسرة ، والنظرات التي لا يصمد لها انسان ،  
والمنطق الذي يسحق كل اعتراض ، كيف يمكن للمرء ان ينسى شيئا  
من هذا ؟ ما زالت المواجهة محفورة في الذاكرة بكل التفاصيل . جلس  
الزعيم على اقرب كرسي . كان من الخشب العتيق . بساطه ناسر .  
وأه من ذلافة اللسان !

– يا خبر يا باشا . جئت بنفسك ؟

– مصلحة الوطن يا فهمي جاءت بي . الوطن فوق كل شيء .

وربت بيده على كنفه في ابوة حانية ثم قال :

– اسمع يا فهمي . انا معجب بك وباصحابك .

هتف صوت في اعماقه . انا ! الفرحة كادت تستبد بك . تمالك  
نفسك وتذكر طموحك . لا بد ان ترقى لمستوى المواجهة .

– نحن جميعا في خدمة الوطن يا باشا .

– عظيم . وهذا ما يحيرني .

نظر فهمي اليه دهشا . واصل الزعيم قوله في روية :

– ما دمنا هكذا ، فلماذا نختلف ؟

كما لو كان السؤال لم يخظر من قبل على بالك . الاجابة الوحيدة  
التي بود ان تصارح بها ، كفاك هو مشقة قولها :

– اعلم ان في صفوفنا اناسا لا ترضون عنهم . لكم افكاركم  
وحماسكم ونظرتكم للحياة . لكن ..

ونظر في عيني فهمي نظرة لم يستطع ان يصمد لها :

– .. قد تكونون اشد عداء لجنود الاحتلال . لكن ، اراهن انهم  
سعيدون بذلك .. ما دام ذلك سيدم انقسامنا ..

استفاض الحديث المنق ، ومن يستطيع ان يرفض حكم المنطق ؟  
ها هي ذي كلماته لا تزال يتردد صداها في الاذن :

« وحين تتكلم الامة في حزب واحد ، فمع من سيتعامل جنود  
الاحتلال ؟ » انتفض فهمي كالمصعوق . الصوت واضح . ترى هل عاد  
ثانية الى الحياة ؟ استرد فهمي شيئا من هدوئه ، وعاد يستمع الى  
كلمات الخطيب ، ثم دوى الهتاف الذي ارتعدت منه فرائضه :

– افوال الزعيم خالدة .

– عاش نبي الوحدة الوطنية .

الحناجر لا يعرف الضعف . وبالله من اين يأتي كل هؤلاء؟ الميدان  
على سمته يضيئ بهم . الشوارع المؤدية اليه اشد ازدحاما . تلاحمت  
الاجساد وتشابكت المشاعر وبدا الميدان بحرا هائجا لا فرار له . أمواجه  
العانية تزعج . صور الزعيم تطفو شامخة فوقها لا يصيبها ادنى اهتزاز .  
صور الزعيم مناثرة في كل مكان . وفي الشرفة – حيث انبأه خاشعون  
– تطل عليهم نظراته من صورة ضعف الحجم الطبيعي تتحدى الموت  
وتخيف الاحياء . فرائضك ترتعد من مجرد النظر اليه . اسطورة كان  
ولا يزال . امام شخصيته الجبارة تلاشيت والضعف سمة فسي بني  
الانسان . لا تنكر انك ارتجفت يوم زيارته . انتصبت واقفا – أنت  
المفكر المعتر بكل ما يقول ، آمنت على مضض ان ثمة من هو اقدر منك  
واجدر ، ويفكرك فلسفت الامر ، واصبحت بعد مدة من غلاة الانصار .  
قربك اليه . انالك سمعه وابتساماته ، افرد لك مكانا في قلبه ، وكان  
للآخرين المناصب والجاه . ها هم اولاء اليوم يملكون الامر . تسود  
كلماتهم وانت واحد من « محفوظات » ارشيف الانشغال . يا للنهاية  
السارة والطموح الزائد ! الاسد حبيس في قفصه فاني له بتحطيم  
القفصان ؟ هيا الق قتلكت . القها فالوقت ليس في صالحك ، عما قليل

دوى التصفيق حادا متواصلًا لا تلوح له نهاية . اكف لا تعرف الكلل ، ام حافظ جبار يتحدى كل قانون ، حتى قوانين الحياة ؟ صورة الزعيم ترق فهمي من كل جانب . الرعشة القوية يزداد سريانها في جسده .

– حبيب الزعيم . حبيب الامة .

– عاش الاستاذ فهمي حبيب الزعيم .

اين صوتك يا فهمي ؟ ازداد جفاف حلقه . ارتجفت الموجودات امام عينيه . لم يعد يرى الا رؤوسا لا حصر لها . الرؤوس تتحرك كامواج بحر ..

(( ايها .. الاخوة .. اود .. وانتم ... نحتفلون ..

دقت زوجته صدرها . وجف قلبها . ما لصوته هكذا ؟ ما له يرتجف ؟ رحمها التصفيق والهتاف من متابعة صوته . اعطاها فرصة للانفعال واعطاه – هو – فرصة لالتقاط نفسه . هل يسمعه ، فهو لا يسمع لنفسه صوتا ؟ هل يتكلم اصلا ؟ اين هو الان ؟ نظرات الزعيم مثبتة عليه من كل جانب . صورته نزداد ضخامة وعلوا . صورته تتجمع الى بعضها البعض . عملاق ضخم يملأ الميدان . نظراته النارية تكفي لهدم جبل . سبابته الرهيبة تشير اليه :

– حذار .

شخصيتك تنوب يا فهمي . لكنه مات . قل ولا تخش شيئا . ايها الخائن !

– حبيب الزعيم . حبيب الامة .

– عاشت ذكرى البطل النزيه .

الشبح يتسم ابتسامه واسمه . اوصالك ترتجف يا فهمي . كان طيلة حياته اسطورة .

– الزعيم خالد لا يموت .

هذا زيف . هذا خداع .

(( ايها . الاخوة . في . هذه . المناسبة . لا .. اجد .. الكلمات .. التي ..

زوجته تسمح دموعها . مخلص لا مثيل له . لو يرحم نفسه قليلا! – الزعيم فوق كل كلام .

– فصاحة الدنيا كلها لا تفي بحق الزعيم .

لكنه خائن يا مخدوعون . في جيبي وثيقة خيانتة . يدي تمسك بها . اطرحها عليكم ؟ العرق يتصبب منه بفزارة .

(( .. اخواني .. امور . كثيرة . لا . ندرکها . الا . بعد . فوات . الوقت ..

– لو عاد الزعيم حيا لعبدناه .

– لا احد ينسى فضلك يا زعيم الامة .

– تعاليم الزعيم لا تموت .

من اين تاتي هذه الاصوات ؟ هتافات من يمين ومن شمال . من امام ومن خلف . يجب ان تكف هذه الثرثرة . ان ينتهي هذا اللغو . يجب ان تفيقوا . وثيقة خيانتة في جيبي . من مصدرها الرئيسي . سري جدا وعاجل . الصدفة وحدها اطلقتني عليها . ادركوا هذا جيدا . تضاعف في عهد زعيمكم جيش الاحتلال . لا يجب ان نغسل غافلين .

(( اخواني . امور . كثيرة . يعجز المرء ..

– عاش صانع المعجزات .

– عاش موحد الامة .

– عاشت الذكرى الخالدة .

قلبه يدق بمنف . صوته ياتي من اغوار بفيضة . صوت الرعد يسم اذنيه . الرؤوس في الميدان تزداد حركتها . انه الموج . موج المحيط . المحيط سحق لا قرار له . امواجه العالية تطوي اضخم السفن . اين منها قاربك عديم الشراع ؟ الورقة في يده المدسوسة طوال الوقت في جيبي . الورقة باردة . صماء . بليدة . اصابعه تشبثت بها . العرق يكاد يذيبها . الامواج دوامة تتراقص اصواتها

الامة يد واحدة . هل تفهم ؟ هذا ما يخشاه المستعمرون . حوادث من هذا النوع تعني اننا غير مسيطرين على الشعب . لماذا ؟! لان الكفاح المسلح لم يعلن بعد . ولماذا لا نعلنه الان ؟! لاننا بصراحة لا نستطيع . وهؤلاء ! يريدون ان يجروا الشعب لمركة غير متكافئة ..

وعاد الى صوت الزعيم هديره الجبار ، وربت على كتف فهمي .

... اربعون الف جندي يا فهمي امام شعب اعزل ..

– استاذ فهمي . ستقتل نفسك حزنا .

– يا استاذ . الزعيم في قلوبنا جميعا .

نظر فهمي الى محدثيه ، وطلأته صورة الزعيم الرابضة في كل مكان .

– لكن هذا هو الحل الوحيد . الى متى نسكت ؟

نظر زميلاه الى بعضهما البعض في صمت حزين ، ولم يعد فهمي يشعر – مجرد الشعور بوجودهما .

– الى ان نستعد . نحن الان نكسب وقتا . الوقت في صالحنا .

– لكن .. ماذا نقول للناس ؟

– يا فهمي .. السياسي لا يكشف اوراقه . ذات مرة كسب احد القادة معركة بدون ذخيرة مع جنوده . هذا هو الدهاء . ما قلته لك ليس للجماهير . لماذا لا تفكر يا فهمي ؟ لو خضنا الان معركة مسلحة ، سيكتشف الاعداء اننا غير مستعدين .. سيعود البلد عام للوراء .

– يحيا الزعيم المخلص .

– عاش الزعيم النزيه .

الهتاف يرتفع من كل جانب والصخب يعم ارجاء الميدان . اسنانك تصطك . وفرائصك ترتعد . اين انت ومن انت وماذا بحق الله تريد؟؟

– وبعد يا استاذ فهمي . ماذا يفعل الرجل العادي ؟

– تحكم في عواطفك قليلا يا استاذ .

– كان رحمه الله يحبه كولده .

هز فهمي رأسه واطل بنظراته على محدثيه . وجوه مستريحة لم تعرف القلق ولا الارق ، وماض طالما حمل عليه ، قيل ان يسير في فلك الزعيم . لم يعد احد يذكر شيئا عن ماضيهم فعباد الزعيم التي يتلفعون بها تخفي عن الناس كل شيء . لن تعريهم الا قلبك فالحق بها واسترح . بالروح نفدي ذكراك .

هؤلاء المخدوعون يجب ان يفيقوا . سيكون الدوي عنيفا يصمم الاذان . الميدان بحر هائج فهل يقوى على امواجها قارب بلا شراع ؟ الا تقتل الرصاصة الفيل ؟ .. قم يا فهمي ولا تتخاذل . قل كلمتك . اعلن على الناس ما عرفت . قل لمن حولك : ابعدهموني الى ارشيف الاشغال فجنيتهم على انفسكم . خسرت كل شيء ، فهناك تكشف الامر . يا للمهزلة ! ورقة صغيرة فضحت كل زيف ، وستهدم الاسطورة الضخمة ، سألقي بها في وجوهكم . اريد ان تسروها .. ونظر خلفه وامامه . نظرات الزعيم مصوبة اليه . ترمقه في غضب . آه . لينك كنت حيا او تستطيع الان الكلام . اين منطقك المنطق ليفسر كل شيء . هه ! وزارة المستعمرات تطلب من وزير اشغالها هنا ان يجري اصلاحات ضخمة وعاجلة في ارض الزعيم . لا تعرفون اين ارض الزعيم ؟ في منطقة كانت قاحلة . اشتراها بسعر التراب . هي الان جنة وحقول . الفضل لمشروعات الري والصرف .. تدرون متى حدث هذا ؟ وقت ان كان الزعيم في منفاه . وقت ان كان الناس يموتون في الشوارع من اجل عودته . كان زعيمكم – قبل زعامته – لا يملك شيئا ذا بال .

– يحيا الزعيم النزيه .

– ابن الشعب . حبيب الشعب .

ايها المخدوعون . انا اعرفه خيرا منكم . صفط فهمي بيده على رأسه . رجفة قوية تسري في بدنه . ماذا يقال له ممن حوله فهو لا يسمع شيئا ؟ زوجته بجوار الراديو قلقة عليه . ماذا جرى له هذا الشهر ؟ كان يجب ان تصحبه وتضرب عرضا بالقتاليد . مخلص صادق الوطنية يكاد الحزن على زعيمه ان يقتله . (( والان .. كلمة الاستاذ فهمي شاكر ، صفي الزعيم )) .

صاخبة :

« كلمة .. واحدة ... يا ... اخوا ... ني .. »  
صمت الجميع . اختفى كل من في الميدان . الشبح لا يزال  
رابضاً في كل مكان . الورقة باردة . ضئيلة . الجماهير ترمقه في  
اشفاق . يا له من مخلص !

– عاش الاستاذ فهمي حبيب الزعيم .  
– عاش المخلصون لمبادئ الزعيم .

الشيخ يتسهم . يفهقه . زوجته في قلق تام . انفاسه حشرات  
موت . المذبح لا تفوته الفرصة . « الاستاذ فهمي – كما هو واضح –  
في غاية التأثر للذكرى الحزينة ، لكنه لشدة اخلاصه لا يود ان يفارق  
المكان – برغم مرضه – قبل ان يقول كلمته .. » . زوجته تنتحب .

– صحتك يا استاذ فهمي .  
– اجلسوه .

– يا الهي . يكاد يموت .  
هتاف حماسي يشق السماء .  
– الموت للماجورين .

فقهة الشيخ تدوي في ارجاء الميدان . الفار في المصيدة فكيف  
السيبل للنجاة . فهمي يترنح . العرق بلل ملباسه . اجلس . اجلس .  
سبابة الزعيم تتحرك من جديد في ثقة وبثبات :

– ليس من قبل ان تعلن توبتك .

تسمر في مكانه . من ذا يمكنه ان يعصيك ؟ صوته المبجول  
يعود اليه .

– اجلسوه . مريض .

الورقة اذابها العرق . يده تكورها . اصابعه تمزقها .

– كلمة .. واحدة .. يا . اخواني ..

الانفاس متهدجة . الشفاه تمصص اشفاقا . الزعيم يتسهم في  
رضا . النظرات حزينة . لا صوت الا همهمات اشفاق . شيخ الزعيم  
يستحس على الكلام .

– اخواني .. لقد .. كان .. زعيم ..

واصاب الهلع زوجته لانقطاع صوته ، بينما غطى دوي الضجيج  
على صوت المذبح ، وهو يعلن ان الاستاذ فهمي – لفرط تأثره وحزنه –  
قد نقل الى المستشفى في حالة اغماء .

زهير احمد الشايب

القاهرة

– الزعيم . الزعيم .  
– الزعيم . الزعيم .

والايدي تلوح . تعبر بتلويحها عما تعجز الحناجر عن الافصاح  
عنه . الايدي تهتز بشدة . تظفن الهواء . نمة خناجر . اين انا ؟ ماذا  
اريد ؟ ماذا قلت ؟ ماذا اريد ان اقول ؟ من هؤلاء الناس ؟ ما هذه  
الورقة ؟ شاب يمتطي الاكتاف . يشير الي !

– عدو الزعيم . عدو الشعب .

– الموت للخونة .

– الموت لاعداء البلاد .

كل ما في فهمي يترنح . نظرات الزعيم ترمقه بقسوة . نظراته  
سهام نارية . قامة شبحة تلامس السماء . يمانه تتحرك في ثبات .  
سبابته تشير اليه . صوته يصيح في غضب :

– هذا عدوي .

حركة الدوامة تزداد عنفا . الشاب على الاكتاف يصرخ في جنون .  
صوته هدير رعد :

– الموت للاعداء .

– الويل للاعداء .

الايدي تزداد تلويحا . الايدي تتجمع . تصبح يدا احدة . عملاقة .  
اهي يد الزعيم ؟ الخناجر هي الاخرى تتجمع . تصبح سهما ضخما .  
حرية ضخمة . طرف سهمها يسدد نحو قلبه . لا . لا . دقائق قلبه  
تزداد . خلايا جسده تدق . ترتجف انفاسه لاهثة . زوجته يشتد  
خوفها . لبنتي منته من الذهب . كان لا يريد الذهب . صوته  
يتهدج :

« اخواني .. كلمة ... واحدة .. »

من ذا فيك يتحدث ؟ من اين تأتي بهذا الكلام ؟ الدوامة تدور  
بك . شيخ الزعيم العملاق لا يزال يشير اليك . فاربك الورقي اذابته  
الامواج . امواج المحيط عالية . هديره يصيب بالصمم . كل شيء في  
ذهنه يختلط . عيناه تغمضان . الاصوات تصب في افوار سحيقة  
منه . الضجيج في اذنه همهمات : الزعيم . الزعيم . صورة الزعيم  
ملأت كل ما حوله . حاصرته . تضغط عنقه . كابوس رهيب . زوجته  
تسمع لهاته .

– استاذ فهمي . انت متعب . اجلس .  
اصرار ام شلل ؟

دار الاداب تقدم :

داويان ابراهيم

الديوان المفقود للشاعر الفلسطيني الكبير المرحوم

ابراهيم طوقان

الذي كان صوتا داويا يحذر من الكارثة

ويغني الارض الحبيبة ويؤرخ لنضال الشعب الفلسطيني

٣٥٠ ق . ل

صدر حديثا